المصادر والمراجع والدوريات
في عملية تعريب التعليم الجامعي

للدكتور عبد الكريم خليفة

سيدي الرئيس الجليل – أيها الزملاء الأفاضل :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد :

فأود أن أعبر عن سروري واعتزازي بلقائكم جميعا في رحاب مجمعنا العتيد بالقاهرة ، حارس العربية الأمين وحصنها الشامخ والمنارة التي تهدي السارين في خضم الزعازع والعواصف كي يتجاوزوا انحرافات الدروب التي تقحم على أمتنا العربية الإسلامية في مسيرتها التاريخية نحو الوحدة والتآخي ، ونحو العزة والرفعة والمشاركة الأصيلة المبدعة لاستعادة دورها التاريخي في بناء الحضارة الإنسانية .

وقد جاء قرار مجمعنا أن يكون « تعريب التعليم الجامعي » المحور الرئيسي في مؤتمره السنوي ، تعبيراً عن فلسفة تربوية وعلمية وقومية وإنسانية تتسق وطبيعة تكوينه وتحديد أهدافه ووسائله .

فقد أدرك مجمعنا ، منذ وقت طويل ، ضرورة تعريب التعليم الجامعي في الوطن العربي ، وكان ذلك من ضمن توصياته في عدد من مؤتمراته السابقة .

لقد طرح موضوع « تعريب التعليم الجامعي » ، باعتباره مصطلحا محددا ، ذا دلالة تاريخية معينة ، ابتداء من أوائل القرن العشرين ، وقد لا نجافى الصواب إذا قلنا : إن هذا التعبير بمفهومه الحديث ، قد بدأ منذ سنة ١٩١٩م في بلاد الشام منذ تكوين الدولة العربية فيها في أعقاب الحرب العالمية الأولى ، وبدأ تحويل جميع المدارس والمؤسسات العلمية ، ولا سيما العالية منها ، من التدريس باللغة التركية إلى اللغة العربية ، ونشأ « معهد الطب » الذي بدأ

(*) ألقي البحث في الجلسة الثالثة للمؤتمر المنعقدة بتاريخ ٢٤ من رجب سنة ١٤١٢ هـ الموافق ٢٩ من يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٩٢م .

تدريس جميع المواد الطبية باللغة العربية ، وإلى جانبه أيضا قام « معهد الحقوق » الذي بدأ يدرّس جميع المواد المقررة باللغة العربية . واستمر التدريس في هذين المعهدين باللغة العربية على الرغم من احتلال الفرنسيين لهذه البلاد ، والقضاء على الدولة العربية في بلاد الشام ، وبعد تحرر سورية من الاستعمار وجلاء الجيوش الأجنبية عنها سنة ١٩٤٥م ، تأسست الجامعة السورية بجميع فروعها ، وأصبح اسم « معهد الطب » كلية الطب ، واسم معهد الحقوق ، كلية الحقوق إلى جانب الكليات العلمية والأدبية الأخرى ، واستمر التدريس الجامعي في جميع هذه الكليات حتى يومنا هذا باللغة العربية ، وقد انقضى على هذا التدريس الجامعي المعرّب حوالي اثنتين وسبعين سنة .

ليس من قصدي في هذا البحث أن أستعرض المراحل التاريخية للتدريس الجامعي باللغة العربية في الوطن العربي، فقد سبقت التجربةَ الشامية التجربةُ المصرية الرائدة بحوالي قرن من الزمن ، عندما تأسست كلية الطب في « أبو زعبل » ، وبدأت التدريس باللغة العربية . وإنما أحاول هنا أن أتتبع مدلول مصطلح «التعريب» من حيث هو مصطلح حديث ، تطور في دلالته كي يشمل إلى جانب معناه الاصطلاحي في تراثنا اللغوي هذا المدلول الحديث الذي يعني التحول من استعمال لغة أجنبية فرضت على المؤسسات العامة والخاصة إلى استعمال اللغة العربية وتأصيلها لغة للفكر والتفكير . ومن هنا فإننا نعتبر التحول من تدريس الطب والحقوق في دمشق من اللغة التركية إلى اللغة العربية تعريبا، في حين أن المبادرة المصرية في تدريس الطب ولغة العلوم باللغة العربية منذ سنة ١٨٢٧ تمثل المسار التاريخي للنهضة العلمية الأصيلة التي قامت علي دعائم التحرر من التبعية السياسية والفكرية واستشراف الطريق للحاق بالأمم المتقدمة ، ولذا ما أن اجتاحت الجيوش البريطانية أرض الكنانة ، سنة ١٨٨٢ م وتوطدت دعائم الاحتلال ، حتى

أقصيت اللغة العربية عن سيادتها في مؤسساتها ، وحلت الإنجليزية محلها لغة للتدريس العلمي والجامعي .. ثم آل الأمر إلى ما آل إليه .

فالتعريب في هذا المصطلح الذي يكوِّن محور «مؤتمر مجمعنا» لهذا العام، يعنى بالتحديد تحويل الجامعات والكليات الجامعية والمعاهد العليا التي نضم مئات الأقسام العلمية ، من التدريس باللغات الأجنبية مثل الإنجليزية والفرنسية وغيرها إلى التدريس باللغة العربية ، واعتماد اللغة العربية لغة للتدريس الجامعي والبحث العلمي والتقنيات الحديثة .

ونحن عندما نتحدث عن التعليم الجامعي والعالي ، لا نعني مطلقا أننا ننظر إليه في عزلة عن مراحل التعليم التي تسبقه ، فإن تعريب التعليم الجامعي مرتبط بالبديهة والمنطق بتعريب جميع مراحل التعليم .

أما التعليم الجامعي الحديث في الوطن العربي ، فقد نقل بصورة كلية في أنظمته ومناهجه ومقرراته عن الجامعات البريطانية والفرنسية ، وفي الوقت الحاضر ومن خلال العقدين الماضيين ، بدأ التحول إلى الأخذ بأنظمة الجامعات الأمريكية .. وكل ذلك يجري في مجال التقليد .. وعندما أُخذت مع هذه الأنظمة والمناهج والمقررات اللغة الأجنبية أيضا إنجليزية أو فرنسية أو غيرها ، وأصبحت اللغة الأجنبية لغة التدريس الجامعي والبحث العلمي .. فقد وصل التقليد الأعمى الغاية في التقوقع على الذات والانعزال عن التفاعل مع شرائح المجتمع المختلفة وتلبية حاجاتها ومتطلباتها العلمية والفكرية والثقافية والتقنية. ومن هنا فقد أخفقت جامعاتنا في معظم الأقطار العربية عن أداء دورها في مجال الإبداع العلمي والتقني والانطلاق إلى بناء نهضة علمية أصيلة ، وقد أخفقت أيضا في أداء دورها في الإصلاح الاجتماعي والثقافي والفكري .

فالجامعة هي المؤسسة التربوية والعلمية ، المدعوة بحكم طبيعة وجودها إلى النهوض بالمستوى الفكري والعلمي والمهني للمجتمع ، وتزويده بمختلف

التخصصات في حقول المعرفة والمهارات، وهي بالتالي التي توجه الأمة نحو أمانيها التي ترتبط بهويتها وموروثها التاريخي وكيانها وقدرتها على فهم الحاضر ورؤية المستقبل .. فالجامعة مدعوة إلى الحرص على توطيد دعائم الأمة الثابتة في ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، ومن هنا نشأت فكرة استقلالية الجامعة والحرم الجامعي ، كي تكون بمعزل عن التقلبات والأهواء السياسية العرضية . فالجامعة ذات رسالة علمية واجتماعية وثقافية وقومية وإنسانية ، ولكي تحقق رسالتها لابد أن تكون منفتحة على المجتمع ، حريصة على تمثل المقومات الأساسية في تكوين شخصية الأمة وكيانها . ولا يمكن لجامعاتنا العربية ، التي يربو عددها عن السبعين جامعة في الوطن العربي ، أن تحقق هذه الأهداف إلا من خلال اللغة العربية ، لغة للتدريس الجامعي والبحث العلمي ، ولغة للتواصل الثقافي والاجتماعي والمهني .. فكيف يمكن أن تكون كلية الطب مثلا وسيلة لرفع المستوى العلمي للأطباء العاملين الذين يمارسون مهنتهم في المدن والقرى والأرياف ورفع المستوى المهني للعاملين في هذه المهنة من ممرضين وممرضات ، ونشر الوعي الصحي بين مختلف طبقات المجتمع ، إذا لم يتم هذا التواصل الفكري والنفسي والمعرفي عن طريق اللغة القومية بكل إيحاءاتها النفسية والثقافية والاجتماعية .. ومثل هذا يقال عن جميع العلوم في الكليات المختلفة .. فكيف يمكن أن تكون كلية الهندسة مثلا في أي قطر عربي ، وسيلة للنهوض في هذه المهنة بين الفنيين والممارسين ، إذا لم يجر التواصل باللغة العربية ، وأن تصدر المنشورات والبحوث العلمية باللغة العربية .

والمثال يصبح صارخا في كليات الزراعة ، أو ما كان يسمى في تراثنا العربي بالمشرق والمغرب والأندلس «بعلم الفلاحة» .. فما زالت كثير من هذه الكليات في الوطن العربي تدرس بالفرنسية أو الإنجليزية .. فيا للعجب ، كيف نزعم أننا نؤسس كليات للتعامل مع

الفلاح العربي ، والتفاعل مع المجتمعات المحلية ، ونجعل لغة التدريس بها ولغة المنشورات العلمية بالإنجليزية أو الفرنسية .

والأمر في الكليات العلمية في معظم الأقطار العربية ، يسير في هذا المسرب العقيم .. فيأتي الطلبة من مختلف الأنحاء في كل قطر عربي إلى هذه الكليات ، وقد أنهى معظمهم دراساتهم الثانوية والعامة والابتدائية باللغة العربية، ، فيبدأون بإعادة ما درسوه في السنة الأولى الجامعية باللغة الإنجليزية في محيط عربي . فرفاقهم في الفصل عرب مثلهم ، والبيئة عربية وفي كثير من الأحيان نجد أن معظم أساتذتهم ومدرسيهم عرب ، بل من أبناء قطرهم.. ومع ذلك كله يستعملون اللغة الأجنبية للتدريس والخطاب .. وهم جميعا وفي معظم الحالات عاجزون عن التخاطب والمناقشة بهذه اللغة الأعجمية.. ومع ذلك كله ، فإن معظم هؤلا، الخريجين الذين درسوا موادهم باللغة الأجنبية ، ولا سيما في العلوم الأساسية يعودون للتدريس في المدارس الثانوية والعامة باللغة العربية .. !! وإن هذا كله يقودنا إلى القول بأن تعريب العلوم هو إخراج العلم من دائرته الضيقة ، وتوفير مادته للمهنيين والممارسين والفنيين من ناحية وإلى جماهير الأمة من ناحية أخرى .

لقد طُرح موضوع التعريب بصورة عامة وتعريب التعليم الجامعي بصورة خاصة منذ أوائل هذا القرن ، وكان تعريب التعليم الجامعي في الوطن العربي محور الاهتمام في مجامع اللغة العربية واتحادها ، وفي المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وفي كثير من الجامعات العربية وفي اتحادها .. وذلك منذ مطلع الستينيات في هذا القرن . فعقدت من أجله الندوات والمؤتمرات على المستوى العربي وعلى المستوى القطري ، واتخذت التوصيات والقرارات ، وكتبت بحوث ودراسات قيمة تعالج جميع القضايا والصعوبات التي تعترض عملية تعريب التعليم الجامعي ولا أبالغ إذا قلت : إنها لو جمعت لجاءت في عدة مجلدات . وعلى الرغم من ذلك كله

فمازال كثير من الكليات العلمية والجامعات في الوطن العربي يتخذ من الإنجليزية أو الفرنسية لغة للتدريس في الجامعات العربية ، ولا سيما في مرحلة الدراسات العليا والبحث العلمي ، ومع ذلك كله فإن هذا الوضع ليشكل مسوغا كافيا لعقد المؤتمرات والندوات وتطوير أعمال مجامعنا اللغوية العربية واستنهاض همم علمائنا ومفكرينا من أجل الانتقال من مرحلة النظرية والتوصيات إلى مرحلة التطبيق والالتزام بالتنفيذ . نحن لا نزعم أننا نأتي بجديد في هذه البحوث ، ولكننا نرى أنه لابد من متابعة الدراسات واستمرار الندوات والمؤتمرات ، حول هذا الموضوع ، وإن جرى فيها تكرار الأفكار وترداد ذكر الحجج والوسائل ، حتى يتسنى تحقيق الهدف ، بتعريب التعليم الجامعي في الوطن العربي ، وإعادة السيادة للغة العربية في أوطانها ، وجعلها لغة التدريس الجامعي والبحث العلمي ، وتعميق مفهوم أن تعريب التعليم في جميع مراحله ولا سيما الجامعية منها أصبح ضرورة حتمية لتحقيق أهداف أمتنا العربية في اللحاق بركب الحضارة الحديثة والتخلص من التبعية الفكرية ، وذلك من خلال بناء تربوي ، يفضي بأمتنا إلى الإبداع العلمي وصنع تقنياته من ناحية ومن ناحية أخرى يفضي بها إلى المحبة والتآخي والوحدة ، فاللغة كما أجمعت البحوث اللغوية والنفسية والاجتماعية ، ليست أداة للقول ووسيلة للتعبير فحسب ، ولكنها وسيلة التفكير وتجسيده فهي الفكر نفسه في حالة التفكير . وبالتالي ليس ثمة تفكير حيٌ دقيق بدون لغة حية دقيقة . ولغتنا العربية لغة حية ودقيقة فهي غنية ومطواعة وقادرة على العطاء العلمي ، وهي لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، وكانت اللغة الأولى للعلوم والآداب والفنون في العالم لعدة قرون . وخصائصها الفذة في الاشتقاق والقياس والمجاز والنحت والنقل والتعريب (بمفهومه اللغوي) تجعلها مطواعة قادرة على استيعاب ما يجدٌ من معارف إنسانية .

إن إيماننا بضرورة تعريب التعليم الجامعي وحتميته ، وإن اللغة العربية بخصائصها الفذة ، لغة نامية ومتطورة من حيث مفرداتها ومصطلحاتها وأساليبها ، لا يعني مطلقا التقليل من شأن الصعوبات التي تواجه تعريب التعليم الجامعي في الوطن العربي ، ولكننا نريد أن نزيل اللبس بين المبدأ من حيث الأساس وبين الوسيلة ، فالتعريب مبدأ أساسي لا يخضع للاختيار ولا بديل عنه في استعادة أمتنا هويتها العربية الإسلامية والتحرر من التبعية السياسية والفكرية والدخول مع الأمم المتقدمة في مدارج العلوم والآداب والفنون الحديثة . أما وسائل التعريب فهي التي يجب أن توجه إليها الجهود ، وتقدم فيها البحوث ، وتنظم لها الندوات والمؤتمرات .. وإذا نظرنا إلى هذه الصعوبات التي تواجه تعريب التعليم الجامعي في وطننا العربي نستطيع أن نصنفها بخطوطها العريضة إلى القضايا التالية :

١ – المصطلح العلمي .

٢ – المصادر والمراجع والدوريات العلمية والكتاب الجامعي المقرر .

٣ – عضو هيئة التدريس الجامعي .

٤ – الطالب الجامعي .

وإن كل قضية من هذه القضايا تستحق أن تفرد بندوة خاصة ، هذا مع العلم أنه كتب فيها الشئ الكثير ، وما أراني إلا معيدا ومكررا لكثير من الأفكار والأقوال التي طرحت على مدى حوالي ثلاثين عاما ، ولكن هذا التكرار بأوجهه المختلفة ، لابد منه طالما أن الأهداف لم تحقق ، وأن الموضوع مازال مطروحا .

وعلى الرغم من تداخل هذه القضايا الرئيسية ، فقد حاولت منذ البداية في هذا المقال المتواضع أن أضع الكتاب الجامعي العربي ، سواء أكان مصدرا أم مرجعا أم دورية ، في مكانه من الصورة الكلية لعملية التعريب الشامل للجامعات في الوطن العربي ، وأن ألقي الضوء على بعض المقومات الأساسية لهذا العمل الجليل .

إن من أهم الوسائل المساعدة على تعريب التعليم الجامعي والعالي في الوطن العربي ، هو العمل على تأمين الحاجة من المصادر والمراجع والدراسات والبحوث الضرورية باللغة العربية عن طريق الترجمة والتأليف والنشر ، وكذلك ضرورة إعداد مستخلصات بالعربية عن البحوث العلمية والثقافية المنشورة في الكتب والدوريات الصادرة باللغات الأجنبية ، وفي جميع الأحوال يجب أن تعد هذه المصادر والمراجع والبحوث العلمية ، من حيث الدقة والإخراج بما يتلاءم مع ما هي عليه الحال في البلدان المتقدمة ، وبالسرعة اللازمة .

وربما كانت طبيعة المرحلة الحضارية التي تجتازها أمتنا العربية ، تجعلني أقول بوجوب الاتجاه إلى حركة نقل علمية منظمة ومخطط لها ، تقوم بتعريب العلوم من حيث أساسياتها . فنعرّب مثلا علم الرياضيات من حيث هو علم وعلم الفيزياء من حيث هو علم وكذلك العلوم الأخرى ، فتنقل إلى العربية أهم المصادر والمراجع العلمية والبحوث المنشورة في أهم الدوريات العلمية العالمية إلى اللغة العربية ، وكذلك تعريب أهم المعاجم المتخصصة في مختلف العلوم والفنون وإصدار المعاجم العامة لعدد من العلوم .

وفي حديثنا عن هذا الموضوع المهم ، نجد أنفسنا في صميم موضوع المصطلحات ، كما أشرنا سابقا إلى طبيعة التداخل بين قضايا التعريب . فقضية المصطلحات والرموز العلمية موضوع أساسي في عملية التعريب ، وإن من مستلزمات عملية تعريب المصادر والمراجع وأهم الدوريات العلمية توحيد المصطلح والالتزام باستعماله لكي تكون لنا لغة علمية عربية مستقرة وفي الوقت ذاته نامية ومتطورة.

أما التأليف ، ولا سيما في العلوم الأساسية والتطبيقية ، فإنه يشكل الدعامة الأخرى لعملية تعريب التعليم الجامعي ، وإنني إذ أتركه للمبادرات الفردية – على أن يلتزم هؤلاء العلماء بالمصطلحات العلمية التي أقرت وفق خطة معينة – لأرى ضرورة تشجيع

المبـدعين منهم بالمكافـآت المجـزية ، وأن يوجه الاهتـمام الأساسي إلى التـخطيط المنظم الهـادف والتنفـيذ الدقـيق المحكم لعـملية نقل العلوم وتعـريبـهـا ، في هذه المـرحلة من مــراحل التطور العلمي في الوطن العربي .

فإلى جانب وجوب توافر المصطلحات العلمـية بين أيدي الدارسين والمترجمين والمؤلفين ، وضعا أو ترجمة أو نقلا ، فإن الجهود الكبيرة يجب أن تتجه إلى الفكر العلمي لنقل المعارف وتأصيل المنهجية العلمـية في الفكر العربي . ولا نستطيع أن نحـقق هذا الهـدف الكبـيـر لإنشاء حـضـارة علمـيـة عـربيـة أصـيلة تواكب العصر وتستمد حيويتها وفلسفتها من تراثنا العــربي الإســلامي ، إلا بوضـع خطة علمية وتقنية محكمة تُحدَّد أهدافها بدقـة ، وتعين وسـائلها العلمـية بوضـوح وتفــصــيل من أجل تعــريب المصــادر والمراجع العلمية والبحوث التي تظهر في أهم الدوريات العلمية العالمية ، وأن تأخذ الخطة في حسابها أن هذا عمل حيوي ضـخم ومستمر ، أمام التفجر المعرفي والثـورة العلمـية التي بدأت تتسـارع في العـقد الأخـيـر من القرن العشـرين وإن جـميع الدلائل تشيرإلى أن هذا التفجر المعــرفي الذي بدأت تصــحــبــه هـزات وبراكين اجتماعية وفكرية وسـياسية منذ مطلع هذا العقد ، يسـير بخطى حثيثة نحو فجر حضارة جديدة .

فقد انهارت أنظمـة وفلسـفات ودول ، وبدأت تظهــر قــوى بهــويات جــديدة ، والثـورة العلمـيـة تتـسـارع كل يوم بما تنتجه من اختراعات واكتشافات علمية وتقنية .

أيهــا الســادة العلمــاء : أليس من الواجب علينا أن نتـسـاءل ، أمـام هذه الأحداث الكبار ، عن موقع أمتنا من هذا كله ؟ . وعن دور لغـتنا العـربيـة وسـيلة للتـعبيـر وأداة للتـفكيـر، وفـوق هذا كله ، فـهي لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشــريف ، وهـي التي تعطي لأمــتنا هويتـهـا، وتكون جـوهر وجـودها ، ولا سبيل لنا من أجل المشاركة الأصيلة في هذه المرحلة التاريخية من التطور العلمي إلا بالتـعريب ، وجـعل العربيـة لغة العلم

والتقنيات الحديثة ، ولا يتم هذا إلا بتعريب العلوم والنقل المستمر إلى العربية كل ما يجدّ في جميع مجالات المعرفة منشورا في المصادر والمراجع والدوريات العلمية .

وكما أنه لا خيار لقطر أو سلطة أو رئيس للانسلاخ عن هويته العربية الإسلامية ، فإنه لا خيار أمام التعريب الشامل بعامة وتعريب التعليم الجامعي بخاصة ، إذا أردنا أن نستعيد دورنا العلمي والحضاري ، وأن تحيا أمتنا العربية الحياة الحرة الكريمة .

فقد بات من الضروري الخروج من الأحاديث النظرية المكررة عن تعريب التعليم العالي والجامعي إلى البدء بالتنفيذ وفق خطة دقيقة ومفصلة ، تشمل جميع المجالات العلمية ، سواء أكان ذلك في ميادين العلوم الاجتماعية والإنسانية أم في ميادين العلوم النظرية والتطبيقية .

وإن تعريب الكتاب الجامعي المقرر في كل علم من العلوم إلى جانب تعريب المصادر والمراجع والبحوث العلمية المنشورة في أهم الدوريات العلمية العالمية ، ليحتل المكانة المهمة في عملية التعريب الضخمة . وما فتئنا نكرر أن عملية الترجمة والنقل ، التي تهدف إلى نقل الفكر العلمي العالمي إلى العربية ، لا يمكن أن تكون مرحلية وأن تنتهي بترجمة مجموعة من الكتب ، ولكنها حركة دائمة ومستمرة توفر لها الحكومات الأموال اللازمة وتدعمها في جميع المجالات ، وتقوم المجامع اللغوية العربية والجامعات في الوطن العربي بالأدوار الأساسية في عملية التعريب هذه .

وقد بات من الضروري أن ننظر بعين الواقع والأمل إلى اتحاد المجامع اللغوية العربية ، لكي يتجاوز المرحلة التي فرضتها عليه الأحداث المؤلمة والسياسات التي تعرضت وتتعرض لها أمتنا العربية، إلى مرحلة جديدة . فينبثق عنه مجمع لغوي علمي واحد للوطن العربي ، يناط به وضع المصطلحات العلمية ، وأن يكون وحده مصدر التوجيه والإفتاء فيما يخص المصطلحات العلمية وإيجاد

الحلول للمشكلات التي تعترض سير اللغة العربية في خضم الثورة العلمية وتفجر المعرفة التي نشهدها ونحن ندنو من أعتاب القرن الحادى والعشرين ، وأن تكون جميع قراراته ملزمة في الاستعمال في الترجمة والتأليف والتدريس والبحث العلمي ، وبذلك تتم وحدة المصطلحات ، وتوطد دعائم اللغة العلمية الواحدة في جميع الجامعات والمؤسسات العلمية في الوطن العربي .

ونحن إذ نتلمس طريقنا إلى تعريب العلوم بمصادرها ومراجعها وبحوثها في أهم الدوريات العلمية في البلاد المتقدمة، فإننا لا نقلل من شأن تجارب كثير من جامعاتنا العربية ، ومؤسساتنا العلمية في موضوع التصدي لترجمة كثير من الكتب الجامعية في مختلف العلوم ، وإصدار المجلات العلمية المتخصصة ، ووضع المعجمات العلمية ، والخوض في مجال التأليف العلمي الذي اختلفت مستوياته واضطربت موازينه من حيث التقويم العلمي ، فهنالك ذخيرة مهمة في هذا المجال ، تيسّر الطريق إلى الحلول الجذرية والشاملة من أجل توفير الكتب الجامعية والعلمية والمصادر والمراجع والدوريات العلمية باللغة العربية .

فهنالك نتاج الأساتذة الجامعيين والعلماء العرب ولاسيما في مصر وبلاد الشام والعراق ، ونخص بالذكر الجامعات في القطر العربي السوري التي تدرس جميع العلوم التطبيقية مثل الطب والهندسة والصيدلة والزراعة وجميع العلوم النظرية باللغة العربية ، منذ أكثر من نصف قرن .

وفي مجال المشاركة في هذا المجال العلمي ، لتيسير تعريب التعليم الجامعي، فقد قام مجمع اللغة العربية الأردني حتى الآن بالنقل إلى العربية ثمانية عشر مصدرا علميا مما يدرس بكليات العلوم في الرياضيات والفيزياء والكيمياء والأحياء والجيولوجيا وعلم الأجنّة وغيرها. وتفرد المجمع بهذه التجربة من حيث الاستعمال الوظيفي للمصطلحات العلمية في سياقها الأسلوبي والتعبير عن الحقائق العلمية و شرحها بلغة عربية سليمة ، وكان من حسن الطالع أن

بعض الأساتذة بكلية العلوم في الجامعة الأردنية قد درس باللغة العربية كتاب « البيولوجيا » الذي ترجمه المجمع متكئا على مادة في قانون الجامعة يتيح له ذلك ، ووسط ظروف ملائمة ، وعندما جرت دراسة لتقويم هذه التجربة ، ظهر أن الطلاب الذين درسوا هذه المادة باللغة العربية قد درسوا مادة أوسع وبصورة أعمق من الطلاب الذين درسوها باللغة الإنجليزية ، كما أن نسبة الرسوب قد هبطت من ٣٥٪ عند الطلبة الذين درسوا هذه المادة باللغة الإنجليزية إلى ٣ ٪ عند الطلبة الذين درسوها باللغة العربية .. وعلى كل حال وعلى الرغم من هذه النتائج فقد عاد التدريس باللغة الإنجليزية في العام التالي !!

لقد شغل موضوع توفير الكتاب الجامعي والمصادر والمراجع والبحوث العلمية باللغة العربية مؤتمرات التعريب التي دعت إليها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، وكان لمكتب تنسيق التعريب بالرباط التابع للمنظمة دور أساسي في التنظيم والتنسيق .. وكذلك كان الشأن في مؤتمرات التعريب القطرية ومنها : «مؤتمر تعريب التعليم العالي في الوطن العربي» الذي عقد ببغداد من ٤ إلى ٧ آذار (مارس) سنة ١٩٧٨ . وقد أولى اتحاد الجامعات العربية هذا الموضوع عناية خاصة ، وكذلك فعل اتحاد المجامع اللغوية العربية في ندوته التي عقدها في مجمع اللغة العربية بعمان ، وأصدر لأول مرة فى تاريخ العربية مشروعا موحدا للرموز العلمية باللغة العربية .

وتعاقبت مؤتمرات الوزراء المسؤولين عن التعليم العالي والبحث العلمي في الوطن العربي وأصدرت توصيات مهمة ، في مجال تعريب التعليم العالي بصورة عامة ، وفي معالجة قضية توفير الكتاب الجامعي باللغة العربية بصورة خاصة . ولكن مع الأسف لم تجد هذه التوصيات المهمة طريقها إلى التنفيذ .

وأود أن أتوقف قليلا عند المؤتمر الثاني للوزراء المسؤولين عن التعليم العالي والبحث العلمي في الوطن العربي الذي عقد من ٢٠ إلى ٢٣ أكتوبر (تشرين الأول) سنة ١٩٨٣ في الحمامات – تونس وعندما بحث المؤتمر

موضوع «تعريب التعليم العالي» لم يصدر قرارات ملزمة ، ولكنه استعاض عن ذلك بذكره اتجاهات كشفت عنها الدراسات التي قدمت إلى المؤتمر والمناقشات التي دارت فيه !!! وربما كان من المفيد أن نورد فيما يلي بعض ماسماه المؤتمر اتجاهات

- تأكيد مبدأ التعريب في مجال التعليم العالي ، وضرورة البدء بتنفيذه ، سواء أكان ذلك في ميدان العلوم الاجتماعية والإنسانية أم في ميدان العلوم النظرية و التطبيقية .
- التأكيد أن التعريب ، إذا كان في الحياة الداخلية العربية قراراً سياسياً ، فهو في حقيقته قرار تربوي وتعليمي ، وفي جوهره الإنساني خيار حضاري .
- اعتبار أن الجامعة ليست هي وحدها الهدف في التعريب ، وإنما هي الهدف والوسيلة معا : هي هدف في البداية ، ثم هي وسيلة لتعريب المجتمع العربي كله في ظواهره الحياتية ومساربه السلوكية ، وطرائق تفكيره .

وعلى الرغم من أنها لم تصدر مع الأسف قرارات ملزمة ، ولكن صدور مثل هذه المبادئ والأحكام عن مؤتمر وزاري، له دلالته العميقة في مدى أهمية موضوع تعريب التعليم الجامعي ، كما يدل الإطار الذي صيغت فيه ما سمي بالاتجاهات ، على مدى تردد كثير من المسؤولين الرسميين ، لاعتبارات بعيدة : عن النتائج العلمية التي أدت إليه الدراسات التي قدمت إلى المؤتمر .

وكان هذا المؤتمر أكثر تحديدا في معالجته موضوع توفير الكتاب الجامعي والمصادر والمراجع العلمية باللغة العربية فقد أصدر توصية واضحة ودقيقة بالموافقة على استضافة دولة الإمارات العربية المتحدة للمركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر .

وربما كان من المفيد أن نتوقف عند الديباجة التي أوردها المؤتمر باعتبارها مسوغا لتأسيس هذا المركز ، وكانت على الوجه التالي :

«اعتقاداً بضرورة دعم التعريب العالي وتذليل الصعوبات التي تعوقه وتأمين مستلزماته ، ولا سيما الكتاب

الجامعي مترجما ومؤلفا ومنشورا .

وحرصًا على تقديم ثمرات الفكر الإنساني ولا سيما في ميدان العلوم الحديثة والتكنولوجيا المتطورة للقارئ العربي ، وتعريف العالم بروائع الفكر العربي ، قديمه وحديثه .

وسعيًا لتوحيد المصطلح العلمي الذي تضعه الجامعات العربية والمجامع العلمية واللغوية ، ويتولى جمعه وتنسيقه مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي، وإقراره في مؤتمرات التعريب الدورية ، باستخدامه في الترجمات والمؤلفات .

وتحقيقًا لقومية المعرفة ، والعمل على توطين العلم وتأصيله في الوطن العربي ، وإرساء نهضة ثقافية وعلمية عربية راسخة ، وتأكيدًا لما أوصت به وثبّتته مؤتمرات الوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافية في الوطن العربي ، والمجلس التنفيذي للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

وتنفيذًا لمضمون التوصية (٥٣) الصادرة عن المؤتمر الأول للوزراء المسؤولين عن التعليم العالي في الوطن العربي .

يوصي المؤتمر بما يلي :

– الموافقة على استضافة دولة الإمارات العربية المتحدة للمركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر .. إلخ .

ومما يؤسف له ، أن هذا المركز ، لم يجد طريقه إلى النور ، وبقي فكرة مجمدة أربع سنوات ، واعتذرت الدولة المضيفة عن استضافته !! ثم قرر المجلس التنفيذي للمنظمة في دورته المنعقدة في مطلع شهر يوليو/تموز سنة ١٩٨٧ ، أن يكون مقر هذا المركز مدينة دمشق .

إن إنشاء مركز للتعريب والترجمة والتأليف والنشر على مستوى الوطن العربي ، تكون مهمته نقل العلوم والتقنيات الحديثة إلى اللغة العربية لهو مشروع ضروري ، علميًا وتربويًا ، وقوميًا ، إذ يكفل تلبية حاجات الجامعات ومؤسسات البحث العلمي ، من المصادر والمراجع والدوريات باللغة العربية من ناحية ، ومن ناحية أخرى هو السبيل

للاستعمال الوظيفي للمصطلحات العلمية وتوحيدها . وقبل ذلك وبعده ، فإن إنشاء مثل هذا المركز أو المؤسسة ، يعتبر عند الباحثين الاقتصاديين ذا جدوى اقتصادية أيضا . فإن مجاله سيكون جميع الجامعات والمؤسسات العلمية في الوطن العربي ، بلغة علمية عربية واحدة نامية ومبدعة .

ويمكن لهذا المركز إذا ما توافرت له أسباب الدعم المادي والمعنوي ، أن يقوم بهذا العمل العلمي الجليل ، من خلال الأساتذة والباحثين في جامعاتهم ومؤسساتهم العلمية في الوطن العربي ، إد لبس من الضروري أن تكون المؤسسة ولجانها المتفرعة في محل جغرافي واحد. وربما كان أجدى وأنفع ، أن تبقى لجنة كل تخصص دقيق على اتصال مستمر مع العاملين بذلك التخصص على مستوى الوطن العربي ، ليستطيعوا عن دراية اختيار المترجمين والمراجعين في مختلف الجامعات ا لعربية ، على أن تتم لقاءات بين أصحاب كل تخصص دقيق لتنظيم العمل وتنسيقه والتغلب على الصعوبات الطارئة . وإن هنالك إمكانات واسعة لحشد الآلاف من العلماء والمتخصصين العرب ، وإثارة هممهم بالمكافآت المجزية لكي يعطوا كثيرا من أوقاتهم لنقل العلم والمناهج العلمية الحديثة إلى اللغة العربية . وسنجد أنفسنا بالتالي أمام أعداد من العلماء الذين سيتفرغون لهذا العمل الجليل ، قياماً بالواجب وسعياً للإبداع والاجتهاد.

وأود أن أختم بحثي هذا بإثارة التساؤلات التالية :

لماذا لا تجد توصيات مؤتمراتنا وندواتنا العلمية والرسمية طريقها للتنفيذ فيما يخص تعريب التعليم الجامعي وغيره من القضايا التي تتعلق بهوية أمتنا ولغتها ووحدتها ؟ ولماذا أخفقت حتى الآن المؤسسات العربية على المستوى القومي فى تحقيق الأهداف التي وجدت من أجلها . وهنالك تساؤلات أخرى كثيرة ، وقديما قيل : ليس المسؤول بأعلم من السائل !!

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

عبد الكريم خليفة

عضو المجمع من الأردن